

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن المدة ١٥ مليا
الوفورات
يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول
أحمد حسن الزيات
الدارة

دار الرسالة بشاوع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

المسدد ٥٥٤ القاهرة في يوم الإثنين ١٩ صفر سنة ١٣٦٣ - الموافق ١٤ فبراير سنة ١٩٤٤ السنة الثانية عشرة

من مآسي هذه الحرب

أنجل ، هي مأساة من مآسي هذه الحرب وإن وقعت في قرية صغيرة لأسرة فقيرة . فلا تقل أين (منصور جراد)^(١) من (استالين جراد) ، ولا أين خمسة نفر أهلكهم الجوع من ملايين طاعتهم رجا عرض شرفها كعرض السماء والأرض ؛ فإن الموت في معركة الدبابات ، كالموت في معركة الزهور . والشقاء الذي يكرّب أنفاس أسرة ، هو بعينه الشقاء الذي يفتح كواهل أمة . والموت لا يقاس أثره باتساع ميدانه وانتشار مداه ما دامت الجماعة لا تحميه إلا إحساناً جزئياً في كل فرد منها . والفرد مهما قوى شموره لا يدرك من بحيرة السم غير القطرة التي تسرى فيه ، ولا من أطنان القنابل غير الشظية التي تفتك به

ما أظنك نسيت صديقنا الشيخ منصوراً ومواقفه الجريئة من أصحاب الضياع والألقاب ، أيام الانتخاب لمجلس النواب ؛ فقد كان في جرأة قلبه وعزة نفيه مثل الفلاح المؤمن بعظمة الله وكرامة الإنسان وحقارة الدنيا ؛ وكان كما علمت من وصفي إياه قد تمازجت في نفسه الحرية حتى احتقر المالك ، وألحت على

(١) جراد منهاها بالروسية بلد أو مدينة ؛ فاستالين جراد : مدينة الزعيم ستالين ، ومنصور جراد من باب المشاكلة بلد الشيخ منصور

الفهرس

- ١٤١ من مآسي هذه الحرب ... : أحمد حسن الزيات ...
١٤٢ الرخيف ... : الأستاذ جليل ...
١٤٥ أخبار أبي تمام ... : الدكتور زكي مبارك ...
١٤٧ كتاب الأخيرة ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٤٨ نقد على عمود طه ... : الأستاذ دويخ خنية ...
١٥١ الطليحة تومي والشاعر يثقل : الأستاذ محمد عبد النبي حسني ...
١٥٣ من إنجاز القرآن ... : الأستاذ محمد أحمد النمرائي
١٥٤ أحزان الوحدة [قصيدة] : الأديب عبد الرحمن الجبسي
١٥٥ جيل بثينة ... : الأستاذ عبد القدوس الأنصاري
١٥٥ (١) بين حدة والنزاع : الأستاذ برهان الدين الفاضلاني
١٥٦ (٢) قيس لبني وعبد الله بن عبد الله بن عتبة
١٥٦ الشيخ محمد عباد الططاوي : الأستاذ سعيد الأفغاني ...
١٥٦ إلى الأستاذ نوري طوفان : الأستاذ إبراهيم السيد علان
١٥٦ لاستدراك ... : الأستاذ علي الدين السامرائي
١٥٦ جيلة تحت ظلال الأرض [قصة] : الأستاذ حلمي مراد ...

جسمه السلامة حتى سُم المافية ، ونفرت عن قلبه العموم حتى ألف السعادة

هذا الرجل الذي كان شخصه يتميز في الزحام من أبعد ، قد استسرت على معرفته وهو أمانى ! لقد ذوى ذلك المحيّا النفس ، وتهدم ذلك الجسد الوثيق ، وتهدد ذلك العضل المكتنز ، وتجرد ذلك الهيكل الريان ، حتى ليخفق جلبابه على أرواح !

لقد انقطع علم ما بينى وبينه منذ دهر طويل ، وكان آخر العهد به لقاء ضاحك في بعض قرى الريف وهو على حاله تلك من الوثاقة والطلاقة والصحة ؛ فلما علم أنى قدمت المنصورة في هذا الأسبوع جاء زورنى متحاملاً على نفسه . فلما أقبل على أنكرته أول ما رأيته ، ثم لم ألبث أن عرفته بما بقى من سباه على وجهه . فصاحته وأحسن لقاءه ؛ ثم دعوته إلى الجلوس فسقط بجانبى على الكرسي كما يسقط كيس من العظام على الأرض . وعقل الدهش لسانى فلم أسأله عن أمره . وحدث هو مايتلج في نقمى من الخواطر فقال بصوت غير صوته ، ولهجة غير لهجته :

— لملك ظننتنى خارجاً من المستشفى ، أو بالحرى ميموناً من القبر ! ليت ما بي كان المرض ، فقد يكون للمرض دواء ! وليت ما بي كان الموت ، فقد ينجم بالموت الداء ! إنما هو جسم يذوب في نار من المم لا تحبى ، وروح ترهق في حشجة من الكرب لا تنقطع !

— إذن أنت يا صديقى حزين ؟

— إذا كان لفظ الحزن يبر عن هذا الذوبان الدائم وذلك

الاحتضار المتصل فأنا حزين

— هل فقدت عزيزاً عليك ؟

— لقد فقدت كل عزيز على !

وهنا خاف الجلد فلم يستطع المسكين أن يملك دمه . فلما هدأت نفسه وراجعه صبره قال :

— أنا في حياتى ماشكوت ولا رجوت ، ولكن الخطوب

التي قوضت ركنى وسودت حياتى هي التي أكرهتني على أن أشكو وأرجو ؛ وذلك وحده خطب الخطوب

كان ذلك في شتاء سنة ١٩٤١ ، وكان لي عامتزوج غلصة وابنة عزيزة وثلاثة شباب برزة . وكنا نحن الستة ، ومنا بقرتنا العاملة

الحلوب ، وحمارنا الفار الدوب ، وكلبنا الحارس الأمين ، لا نتفرق ولا نختلف ، ولا نرى الدنيا إلا في بيتنا وحقلنا ، ولا نجد اللذة إلا في لباسنا وأكلنا . فإذا جار المالك علينا في القسمة ، عدل الله فينا بالمعوض . وإن جرى القضاء علينا بما نكره ، انتهى الصبر بنا إلى ما نحب . حتى أزمّت هذه الحرب الناس ، فضاقت الرزق ، وامتنع الوارد ، وارتفعت البركة ، وفشا المرض ، وأعوز الداء ، واختزن الملاك ما تنبت الأرض ، واحتكر التجار ما تجلب السوق ، ففحش الغلاء ، وطغف الكيل ، حتى أصبح الأجير يعمل الأسبوع كله ليشتري كيلة من الذرة إذا وجدها . ثم قضت سياسة التتوين أن تشتري الحكومة مقداراً من القمح مفروضاً على كل زارع . وقضى الله الذي ييسط الرزق لمن يشاء . ويقدر ألا تزيد غلة أرضى على حصة الحكومة عندي ، فنقلت على حمارى ما في الجرن إلى بنك التسليف ؛ وحجز المالك ثمن القمح استيفاء لمبض إيجاره ، فخرجت صفر اليدين من النقد والحب ، فلا في الجيب ولا في الخزن . ولكننا يا سيدي أحياء ؛ والحى لا مناص له أن يأكل . فقامت أنا وزوجتى وابنتى على زراعة الأرض ورعى البقرة ، واشتغل ببنى الثلاثة أجراء عند الناس ، فكنا نجتمع أجرتهم في كل ثلاثة أيام لشترى بها كيلة واحدة . وماذا تصنع الكيلة من غير إدام في ثلاثة أيام لسته أفواه ؟

على أن هذه الحال لم تدم ، وليتها دامت ! فقد نفدت الحبوب من القرية ، وحرم على الناس نقلها من بلد إلى بلد ، فكفت أقبض أجرة أولادى في المساء ، ثم أذهب إلى المنصورة في الصباح ، فأشتري بها من الخبز المخلوط ما لا يسمن ولا يشبع . وعلى هذا النمط النابى من سوء العيش قل الغذاء ، وكثر العمل ، وبلى الثوب ، واتسخ الجسد ، واعتلت الصحة . ووفدت على القرية حتى التيقوس فلم نجد متاعاً في جسم ، ولا وقاية من نظافة ، فأودت ببنى الأربعة واحداً بعد واحد . ونجت منها زوجتى لثديهم في الثواكل حتى لا يترك أولادى الحياة من غير عرس ولا مأتم . ثم أمعن القدر في ابتلائه : فانتشر في الماشية وباء التسمم الدموى ، فتفقت البقرة ، وهلك الحمار ، وأصبحت الدار والحد لله خلوا بما صأى وصحت ! أما بقية القصة فإنك تقرأها الآن في ويجهى . وإذا جاز أن يكون مثلى بعد ذلك رجاء ، فإني أرجو من الله الموت ومنك الكفن ...

الزغيف لأستاذ جليل

أبو الدرداء الكلؤاني : الدنيا تدور على ثلاث مدورات :
الدينار ، والدرهم ، والرغيف
* في « فتوح البلدان » للبلاذري :
قال كثير بن شهاب يوما : يا غلام ، أطمعنا ، فقال :
ما عندي إلا خير وبقل .

فقال : وبمك ! وهل اقتلت فارس والروم إلا على الخبز
والبقل ؟

* في (الفتوحات المكية) لابن عزي : (١)
إذا غابت ذا سير حيث فذاك السير في طلب الرغيف
له سلوا وصاموا واستباحوا دم الكفار والبر العفيف
له تسمى الطيور مع المواشي له يسنى القوى مع الضعيف
* في (نوار القلوب في المضاف والمنسوب) للتمالي :
قال خلف الأحمر : كنت أرى أنه ليس في الدنيا رقية أطول
من رقية الحية ، فإذا رقية الخبز أطول منها . يعني ما يتكلفه
الإنسان من النظم والنثر والتأليف والخطب لطلب المال
* قال الشافعي :

لا تشتشعوا أحداً لا يكون في بيته دقيق ؛ فإن قتله زائل
* حكى عن محمد صاحب أبي خنيفة قال : كنت ذات يوم
جالساً وكذب الفقه مطروحة أولفها ؛ فجاءت خادم إلى وقالت :
قد فنى الدقيق ، فذهب عن خاطري خمس مئة مسألة عما كان
نصب عيني وأزوت إبداعها الأمول ، فا ذكرت منها شيئاً
بعد ذلك

* في « نهاية الأرب » للتوحي :

قال جعفر الكاتب : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر :
إذا كانت في جيرانك جنازة (٢) وليس في بيتك دقيق فلا تحضر

(١) تلح الطيب كان بالمغرب يعرف بابن الروي بالألف واللام
واسطع أهل الشرق على ذكره بغير ألف ولام لرفاقه بين وبين أبي بكر
ابن الروي

(٢) في هذه الكلمة واشتقاقها وقع خيمها وكسر أفعال كثيرة :
في البيان والتاج : قد قيل هو نطق . وفي اللسان : الجنازة بالكسر
التي بمريرة وقيل بالكسر السرير والفتح للثوب قال الهارمي لا يسي
جنازة حتى يكون عليه ميت ولا فهو سرير أو نيش
في المجهز : جرت الفنى ، أختبره جنواً إذا ستره وزعم قوم أن منه
أهبة في الجنازة ولا أمرى ما ستره

الزغيف فرزوقاً (١) كان ، أو كان من السميز الحواري (٢)
هو معضلة المألين كلهم أجمعين منذ أن نجم الكائنات الأولان
اللذان سماهما الأستاذ الأكبر (إرنست هيكل) :

« Protiste, monère » (٣)

ومنذ أن ظهر آدم ونوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
قل هذا الرغيف يمل العالمون ، ولهذا الرغيف يحاطر
المخاطرون ، ولهذا الرغيف يتقاتل هؤلاء الثقاتلون ، ولهذا
الرغيف يصنف العلماء ويخطب الخطباء ويكتب الكتّابون
« ما صنف الناس العلوم بأسرها إلا لحيلتهم على تحصيله »
ومن كان لا يقبل « المقالة » إلا ومساها الشاهد والثل وبيت
الشعر فليستمع إلى هذه الأحاديث « الأماليج الأفاكية »
وليكن لها من الراعين ، فإنها من عيون الأحاديث أو أحيائها (٤)
كما يريد موهوب الجواليقي

* في مجمع الأمثال للميداني :

لولا الخبز لما أعيد الله (٥)

* في « برد الأكباد في الأعداد » للتمالي :

(١) الفرزدق : الرغيف يقطع في التنوير ، وثقات الخبز ، قال
البيان : أسله في الفارسية برازده ، والمجد في قاموسه يقول : أو هري
منحوت من فرز ودق لأنه دقيق أفز منه قطعة ، ونزل المجد غير مجد ..
(٢) السميز والحواري : لباب الدقيق وأجوده وأخلصه
(٣) يراجع في شرح هذين النظمين العلامة الأستاذ إسماعيل مظهر
(٤) قال في (صرح أدب الكتاب) : ميرن الحديث مختاره ،
وقد عيب ذلك عليه ، وقيل : الصواب أن يقال أعيان الحديث ، (قلت)
نزل ابن قتيبة صحيحه ، وقبلنا استعمل (أعيان الحديث) أدب
(٥) قالوا : إن كان جواب لولا شيئاً قرن باللام غالباً ، وإن كان
حقيقاً بما تحمده عنها غالباً ، وإن كان منقياً عما لم يقرن بها (قلت) ربط
اللفظ باللام في الشعر والنثر أكثر من التكثير

الجنابة ؛ فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالآثم^(١) من بينهم

* في ديوان « ابن هاني الأندلسي » :

ولذا صار كل ليت هزبر قائماً من زمانه بالرغيف

* في شرح النهج لابن أبي الحديد :

لولا ثلاث لم يسأل سيف : سلك أدق من سلك ، ووجه

أصبح من وجه ، ولقمة أسوخ من لقمة

* في كامل البرد :

كان مالك بن أنس يذكر « قلت : أربعة من عظماء هذه

الامة » فيقول : والله ما اقتتلوا إلا على التريد الأعفر^(٢)

* سمع جعظلة قول الشاعر :

وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

فقال :

إلا الدقيق فإنه قوت لنا فإذا غلا يوماً فقد نزل البلا

* في شرح النهج لابن أبي الحديد :

توصل عبد الله بن الزبير إلى امرأة عبد الله بن عمر في أن

تكلم بملها عبد الله في أن يبايعه ، فكأتمته في ذلك ، وذكر

صلاته وقيامه وصيامه فقال لها : أما رأيت البغلات الشهب^(٣)

التي كنا نراها تحت معاوية بالحجر^(٤) إذا قدم مكة ؟

قالت بلى

قال : فأياها يطلب ابن الزبير يصومه وصلاته

* في مقامات الهمذاني :

ساخف زمانك جداً إن الزمان سخيف

وقل لعبدك هذا يميننا برغيف

(١) الثأم : شره طويل وقد غلب عند العامة على المصيبة والناحة .

في الإيج : قال أبو بكر : العامة تطلق فتظن أن الثأم النوح والنياحة ،

والثأم النساء المجتمعات في قرع أو حزن . قال ابن بري : لا يمنع

أن يقع الثأم بمعنى الناحة والحزن والنوح والبكاء لأن النساء لذلك اجتمعن

(٢) العفرة يابس ليس بالخالص ، والأعفر : التريد البين

(٣) في الصباح : القمبية أن يثلب اليباس السواد ، وبغل أشهب

وبغلة شبيهة .

(٤) الخبير اسم لمناظير المستدير إلى جانب السكة الغربية .

لما فتحت العرب بلاد فارس ، ورأت ما لم تكن عين عربي

قد رأت ، وذوقت الطنم اللذ الشهى (الدجاج المسمن بكسكر^(١))

والرجراج^(٢) بالسمن والسكر) (الشواء الرشراش والفالوذ

الرجراج^(٣)) قال عربي وقد طعم الفالوذ : والله لو لم تقا تلهم

إلا على هذا لقاتلناهم عليه . وقد أمسى القوم بعد ذلك شواقيين^(٤)

ومن العجيب — بل ليس من العجيب — أن هذا

(الرغيف) قلما يقتنصه المرء حلالاً . ولذلك قال الحسن

البصري : لو وجدت رغيفاً من حلال أحرقتة ثم سحقته ، ثم

جملته ذروراً^(٥) لأداوى به المرضى^(٦)

(***).

(١) كسكر : بلد بسواد العراق ينسب إليها الدجاج الكسرى

(٢) الرجراج : الفالوذ الذي يترجرج ، والقول في كلام الزمخشري

في مقاماته .

(٣) في كلام أبي بكر الخوارزمي

(٤) الشواني : المحبة للحلاوة أو لوج بها

ومن الأحاديث الموضوعة : (المؤمن حلوى والسكر خمرى) ، قال

الحافظ بن حجر : لا أصل له (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٩٢)

(٥) الذرور : ما ينذر في العين وعلى القرع من دواء يابس

(٦) في كتاب كتمان الدر وحفظ اللسان للإمام الجاحظ : قال عمرو

ابن عبيد : أعيتني ثلاث خلال : تركي ما لا يستيق ، ودرم من حله ، وأخ

إذا احتجت إلى ما في يديه بقله لي .

نطبيع في طافات ربحانه

جاء (الدواوين العامة) وهي العامة ، و (إلى أن ترزق حتى) وهي

إلا و (أعمارها عدة أعمارم) وهي عدة .

لا أومن بالعقل

بقلم محمد العمادى

معالجة لمائل الخير والشر والحق والباطل . فلسفة جديدة

قامت على عدم المنصب لتأج العقل وتصور الحواس

يطلب من مكتبة الفكر الحديث بشارع خيت ، ومن مكتبة

النهضة المصرية بشارع الدايغ ، ومن جميع المكتبات المشهورة

بالتجارة . ١٠ قروش . ورق أبيض مقبول . النسخ محدودة

مسابقة الادب العربي

٢- أخبار أبي تمام للدكتور زكي مبارك

أقول مرة ثانية ، وسأقول ألف مرة ، إن هذا الكتاب شغلني وألهاني عن المهم من شؤوني ، ولو كان الورق موجوداً على نحو ما كان قبل الحرب لجوت وزير المعارف أن يشير بتوزيعه على جميع التلاميذ ، ليخلق فيهم الإيمان بالأدب ، وليشعرهم بقوة الروح عند أسلافنا الأجداد

وقد كتب الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي مقالا عن هذا الكتاب في مجلة الرسالة في أعقاب ظهوره ، فليراجع الطلبة مجموعات الرسالة^(١) بمكتبات المدارس الأميرية لينتفعوا بمجموع ذلك المقال

مدرسة أبي تمام

نواجه الموضوع بعد تردد وتبويب ، لأنه أخطر من أن يدرس بمثل هذه السرعة في الدرس ، ولأن أبا تمام أعز من أن نطوف بأشعاره متعجلين

كانت النية أن أولف كتاباً عن عبقرية أبي تمام بعد كتاب عبقرية الشريف الرضي ، ولهذا حبسنا إلى قبور بالوصل لأسلم عليه ، فعمله وعلى روحه الفنان ألف تحية وألف سلام !

وهل أنسى ما صنعت مع هذا الشاعر قبل سنين تريد على العشرين ؟

أنا أذكر أن في كتاب البدائع حديثاً هو عتاب على الحكومة العراقية في اهتمامها بقبر أبي تمام ، وإغفالها لنشر ديوان أبي تمام بصورة تليق بمكانته في التاريخ الأدبي

ويظهر أنني أقول أكثر مما أقول ، فقد مضت أعوام ولم أؤد الواجب نحو هذا الشاعر العظيم ، فلم يبق إلا أن أرجو مدير جامعة فاروق الأول أن يعنى الأستاذ محمد عبده عزام من التدريس

(١) السنة الخامسة ، العدد ٢٢٥ من ١٢٥٦ ، والسنة السادسة

سنة أو سنتين ليصحح ديوان أبي تمام تصحيحاً يرفع عنه آصار اللبس والتحريف

ولأني تمام علينا حقوق ، فقد نشأ بمصر ، وتنفس هواء القسطنطينية ، وسمع من علماء مصر بجامع عمرو ماسع ، فنبغ روحه نبوغاً سبق على الزمان إلى أبعد الآمال وأين الموضوع الأسيل ؟

أراني أهرب من مواجهته ، كأنه فوق ما أطيق ! أنا أريد أن أقول إن لأبي تمام مدرسة شعرية ، وهي المدرسة الثانية في الأدب العربي ، وهي أوضح من المدرسة الأولى ، والكلام هنا مقصور على العهد الإسلامي ، أما العهد الجاهلي فله مدرسة يختصم في روايتها شاعران عظيمان ، هما زهير وليد ، ومع احترازي لزهير صاحب الخواص فأنا أعتقد أن معلقة ليدي هي أعظم قصيدة جاد بها الروح العربي ، وأنا أتعجب من أن يتناسى مؤرخو الأدب منزلة ليدي مع أنه أعظم من امرئ القيس بمراحل طوال

أترك هذا الاستطراد وأذكر أن المدرسة الأولى في العصر الإسلامي كان فيها فصلان أساسيان : أحدهما خاص بالثورة على الأخيلة الهدوية بإشراف أبي نواس ، وثانيهما خاص بالفن الشعري بإشراف بشار ، وهو أعظم الفنانين بين القدماء ولا موجب للنص على منزلة مسلم بن الوليد ، فهي أوضح من أن تحتاج إلى إيضاح ، قصيدته الدالية هي أشرف ما جاد به عصر بشار وأبي نواس

ومسلم بن الوليد هو الصورة التي تأثر بها أبو تمام ، فقد حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام وضع المصحف بين يديه وأقسم أن لا ينال طعماً ولا شراباً إلا بعد أن يحفظ ديوان مسلم بن الوليد

ومن مجد مصر أن ديوان هذا الشاعر نشر أول مرة في مدينة دمياط

أبو تمام العربي

أراد ناس أن يشككوا في عروبة أبي تمام ، ونسبوا

الدكتور طه حسين ، والدكتور طه رجل منصف ، ولهذا أرجوه أن يسمع حديثي

التشكيك في نسب أبي تمام بدعة قال بها المتأخرون من المستشرقين ، وهي بدعة لا تستند إلى أي برهان ، فقد أجمع القدماء على أن أبا تمام هو الطائي الأول وأن البحترى هو الطائي الثاني

أبو تمام العربي هو رئيس تلك المدرسة الشعرية ، وهو الرئيس الذي عجز عن مجاراته ابن الرومي

شعر العرب للعرب ، قما ابن الرومي وما شعره وقد عجز عن الظفر بالموسيقا الشعرية ؟

أبو تمام العربي هو رئيس المدرسة الثانية في العصر الإسلامي ، وقد جلب شعره وصلصل ، وامتد صوته إلى آفاق يعجز عن اجتيازها الخيال

وأبو تمام مظلوم أقبح الظلم في هذا الزمن الظالم ، فقد قال أحد الناس إن شعره من رأسه لا من قلبه ، وقال آخرون إن شعره خال من تمدد الألوان

والحق كل الحق أن فن أبي تمام جنى عليه ، فقد تصوره بعض بني آدم رجلاً لا يحسن غير التعميق ، مع أن صياغته الروحية تفوق صياغته الفنية ، ومع أن معانيه فوق ألفاظه بمراحل بعيدة ، وإن اشتهر بزخرفة الألفاظ

هذا الرجل زلزل معاصريه وأوقعهم في فتن دامية ، ولم يمت إلا بعد أن صرخ خصومه وأرداهم أعنف إرداء

حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام أدخل ثلثمائة شاعر في زمانه بلا قصد وبلا نية ، لأنه كان نصيراً لجميع الشعراء ، فاقال قائل إن هذا الشاعر العظيم وجه إلى أحد معاصريه أي إيذاء ، لأنه كان غنياً بفضل كمال أستاذنا محمد المهدي

وروح أبي تمام خلق دولة من الأدب ، ولله السبب في قتل الشريف الرضي وأبي الطيب المتنبي ، فقد أراد هذان الشاعران أن يخملا اسمه بيهود عنيفة لا يستطيعهما إلا من يكون في مثل قوة الرضي والمتنبي

وأنا متردد في الفصل بين هؤلاء الشعراء ، فالشريف الرضي كانت له غاية واضحة هي السيطرة على الخلفاء في بغداد ، والمتنبي كان يريد أن يظفر بمكانة في الديار المصرية ، كأن يكون خليفة دعبيل في مدينة أسوان

لم يلتفت أبو تمام إلى شيء من أعراض الدنيا الفانية أو الباقية ، وإنما التفت إلى الفن الشعري ليرقم اسمه فوق جبين الخلود

أبو تمام مظلوم ، فالتفت أحد إلى شعوره بالحياة ، ولا عرف أحد أن اهتمامه بالألفاظ لا يقاس إلى اهتمامه بالمعاني والجاهلون من مؤرخي الأدب العربي لا يعرفون إلا سمة واحدة من سمات أبي تمام ، وهي غرامه بالزخرف اللفظي ، مع أنهم سمعوا أنه كان من رجال المعاني ، بدليل أنه صنف « ديوان الحاسة » تصنيفاً يشهد بأنه من أصحاب الأذواق .

إلى طلبة السنة الثوبيرية

أنا تبت في توجيهكم يا أبنائي ، ولا يميزني إلا الشهور بأنكم ستنتهيون جوائز وزارة المعارف

هذه المقالات هي المفتاح للخزانة التي يحرسها جنود صناديد ، وقد كسرت تلك الخزانة بيدي لأقدم إليكم أسئلة الامتحان ، ولوزير المعارف أن يمانيني على إذاعة أسئلة الامتحان

تذكروا ثم تذكروا أنكم ستسألون عن مدرسة أبي تمام الشعرية ، وأنكم ستسألون عن العصر الذي عاش فيه أبو تمام ، وأنكم ستسألون عن شعور أبي تمام بروح الوجود

لا تخافوا من الأسئلة ولا من الأجوبة ، فالمصححون آباؤكم الروحيون ، وهم سيفرحون بالقليل من الصواب ، ولو جاء في سطرين اثنين

وزارة المعارف تنتظر من ينهب جوائزها الغالية ، فأنهبوها ، انفرح بكم ، كما فرح الطائر الذي تحدث عنه ميسيه في إحدى قصائده الخوالد . إنهبوا وزارة المعارف ، أنهبوها ، فهي تشتهي أن أنهبوها ، وما تحب وزارة المعارف إلا أن يكثر الطامعون في جوائزها الغالية .

نك مبارك

كتاب الذخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

أخي الأستاذ محمد عبد الفتى حسن

اطلعت في مجلة الرسالة على مقال الأستاذ عن كتاب الذخيرة
الذي تخرجه كلية الآدابولاني أبدأ بالاعتذار عن تأخير جواب الأستاذ حتى اليوم .
وعذري أنني اطلعت على مقاله وأنا على أهبة السفر إلى فلسطين .
فاضطرت إلى إرجاء الإجابة حتى أعود إلى مصر . وعدت
مستقبلاً أشقلاً متتابعة هونت على نفسي هذا التفسير
وليس بهين .وأثنى بشكر الأستاذ شكراً مضاعفاً على كلفه في التفتط
وكلفه في الرسالة ، إذ أثنى على ناشر الكتاب وحمد لهم عملهم
وأحسن الظن بهموأثنت بأنني عند ظن الأخ سعة صدر للتقد، وارتياحاً للحق .
وأن للتأقد الفاضل عندي جزاءه من الثناء والشكر بما اهتم
بالكتاب ، وقرأه . قراءة مدققة ، ثم أهدى إلينا ثناءه وعرفنا
مآخذة . ونحن ما عشنا طلاب علم و « إنا العلم عند الله » .
وقد لقينا نصيباً في قراءة الخطوط القرية المختلفة ، ومقابلة
النصوص المحرقة ؛ وكنا ندرك بعض خفاياها أحياناً بفرب
من الإلهام .وبعد فأكثر هذه المآخذ كما يعلم الأستاذ زلات طبع .
والأخ من أخبر الناس بها . ولي حديث عنها سيقروا
إن شاء الله في مقدمتي لديوان أبي الطيب المتنبي الذي سيخرج
للقراء عما قليل . وأحسب الأستاذ قد تنبه إلى أن كلفه في
الرسالة في لم تخل من هذا التحريف المطبوع . وقد وقع فيها
دووين ، والصواب فتح النون . ووقع فيها من ٣٣٦ ،
والصواب ٣٣٦وقد أكثر النلط المطبع فضول في الشكل ، وذلك أن
الأستاذ المشرق الذي شاركنا في قامة المبل قال : إنالمستشرقين يصيب عليهم أن يقرأوا الكلام غير المشكول فلا يد
أن يشكل الكتاب شكلاً كاملاً ، ورأيت أنا من بعد
ألا يشكل إلا مواضع اللبس ؛ ولكن زملاءنا الذين يشرفون
على الطبع لا يزالون في إبطار الطريقة الأولى ؛ فأسرفوا
في الشكل وأدى الإسراف إلى شيء من الفضول ، وأوقعهم
الفضول في مثل : ومن أجل قتلوه ، والصواب فتح النون
كما رأيتم . إنا ينبغي أن تشكل النون في هذا الوضع إذا عدل بها
إلى الفتح فإن كانت ساكنة فليست حاجة إلى وضع السكون
على النون ولو كان صواباًوكذلك النون في قول الشاعر : وخذ على الرين من أسبابه .
والصواب الفتح . وأما البيت :لما رمته العيون ظلالة وأثرت في جماله الحدق
والبيت :فكم سألته في مناهيها يد المني وكم هب عرف اللوف في عرفانها
قد صححنا في الجدول آخر الكتابوأما ابن فتوح فقد شدد مرة ثم رجحنا التخفيف فجزينا
عليه وكان ينبغي أن يثبه على هذا في جدول النلط . وأما العبارة :
... .. قتل لها يا قلبها أحديد أنت أم حجر
فعي شطر بيت فزيد عليه الجملة « قتل لها » . وأظن
الكاتب لم يرد غير هذا . وهذا الشطر عثرنا عليه في الموشى
(ج ١ ص ٧٨)

شكوت ما بي إلى هند فما أكثرت

يا قلبها أحديد أنت أم حجر
وأما قول الأستاذ ضبطنا الفعل « مت » بضم الميم والأعلى
كسرهما ، كما في قراءة حفص ، فجوابه أن قراءة حفص فيها
الضم أيضاً في الآية « ولئن مُتَّ أو قُتِلَ لآلئ الله تحشرون »وقد أخذتم مأخذين في « أن » إذ وجدتم الهمة فوق
الألف فقرأتموها مفتوحة وسوياً الكسر ، والحق أن مصححي
الكتاب يسمون الهمة المكسورة فوق الألف أحياناً ويتركون
الفتح والكسر للشكل : ولست أباري في أن التفريق بين
الكسر والفتح بموضع الهمة من الألف فوقها أو تحتهما أحسن
إذا جرى الاصطلاح عليه

نقد على محمود طه للأستاذ دريني خشبة

وأخيراً نسل ممّا ، أو أصل وحدي ، إلى الناحية المظلمة
ن على محمود طه ، شاعرنا الرقيق الناب ، بعد أن جد بنا المسير
تلك الناحية المظلمة التي لا يجيد كثير من القراء الظالمين
أن يبصروا إلا فيها ... وهي ناحية تسهل الكتابة فيها أكثر
مما تسهل الكتابة وتسلسل في الناحية القابلة ... الناحية المشرقة
الزاهية ... التي تعني بالحسنات ، أضمان ما تمنى بالسيئات ...
من السهل جداً يا صديق القارى ، سواء أ كنت ناقداً
أم راضياً ، أن يتناول الإنسان أحسن الأعمال الأدبية فيردّها
سواءً كان كلها ... ومن السهل جداً أن ينمض الإنسان عينيه
عن أعجاد الكتاب أو الشاعر ، فلا يرى إلا ظلمات يتدجى بمضها
فوق بعض ... وقد عاهدت نفسي ألا أقع في هذا الظلم الأدبي
المسارخ وأنا أقعد أحداً من أعز الناس على أدياننا المصريين ...
بل أدياننا العرب أجمعين ، فرب ثناء يصادف عمله ، فيكون
توكية للبقرية الكامنة التي تستحق الثناء وتستأله ... ويكون

والبيت :

لم أر أن أكون من رواه إذ هو معدود في هنائه
غير مترن كما قلّم ؛ وأحسب صوابه : إذ هو مما عدّ في هنائه
وأما قول القائل : « إن لم أجد التآيين ، فأجد البكاء والحزن »
فتحن نواقك على أنه ليس من مواضع فاء الجزاء ، ولكن لم تستبح
تغيير الكلام وكان ينبغي التنبيه عليه كما قلّم

وبقية الأغلاط الواضحة مثل الكسرتين تحت لام الجهل
مع ألف التعريف ، ومثل الرخصاء مكان الرخصاء في بيت
الجنبي ، وابن حنجر مكان ابن حنجر ، فهي من المغفورات التي
لا تدري كيف وقعت ، ولكننا ندرى أنها لم تقع إلا سهواً من
الطابع أو القارئ عليه الخ

وأكرر للأستاذ اعتذاري وثقائي وشكري .

عبد الوهاب عزيم

سبباً في أن تفعل هذه البقرية الأفاعيل ... ورب قدح ظالم
لا خير فيه ، يسميه صاحبه قدحاً وما هو بنقد ، لكنه سم
يسرى في ببيان نهضتنا فينبط المصم ، وبفت في المزائم ، وبحطم
الآمال ... وكلم كنت أعنى ألا أكتب هذا المقال في نقد
على محمود طه ... لأنني منها اجتهدت في تلقف ما أهد به ،
وأخذ عليه ، فلن أفوز إلا بهنات هينات لا يمكن أن تنال
مطلقاً من شاعريته التي نهضت ، أو من فنه الذي اكتمل
وربما تركت أكثر دواوينه ، فلا أعرض لها إلا من يمد ،
وفي مناسبات قليلة ، حيناً أضطر إلى ضرب الأمثال للملاحظات
التي أسوقها فيما يلي ... ربما تركت أكثر دواوينه إذن ...
لا فرغ لمنظومته « أشباح وأرواح » ... تلك المنظومة التي
كان من المسير على فهمي الضيق أن يل بها ، بالرغم مما كنت
أهيم به من قراءة الأساطير ، ومصاحبة هوميروس وأبولونيوس
وفرجيل وأبي الملاء وابن شهيد ودانتى وميلتون ، وطول مداعبة
خيالي لأخييل وبروكولوس وأوديسيوس وأجاكس وهكتور
وباريس ، وإينياس وابن القارح ، وزهير بن نعيم ، وبياتريس ،
وعيسى بن صريم ، وهذه النخبة الساحرة من أبطال الألياذة
والأوديسة والألياذة ، ورسالة الفران ، والزوابع والتوابيع ،
والكوميديا الإلهية والفردوس المفقود ...

فألى قرأت هذه الروائع كلها وفهمتها على وجهها ثم أجدني
غيباً أشد النباء حين أتناول هذه الأرواح والأشباح فلا أستطيع
أن أبلغها ... كأنه أن أعضمها ، ولا أستطيع أن أطلع مع
الشاعر اللبق المحبوب في تلك الجواء التي لم أتبين إلا زوردة
هي ، أم هي ظلمات في ظلمات في ظلمات !

يخبرنا الشاعر في المقدمة أنه تجرد من طيفه ، (أو أن روحه
انصدقت من طيفها فيما يشبه أحلام اليقظة ... وكأنه بها وراء
سحابة في عالمها الذي سبق أن عاشت فيه عند بنائها الأول ،
وأنه وجد نفسه في طريق أفلاطون ومثله العليا ، فتتفص في هذا
الجو طليقاً جراً لا تقو ، بيثة ولا عقيدة ، ولا يحد من جريته
حذر أو اتهام ، وأنه أرسل بصره في هذا الطريق الصاعد الهيميد
قلم يصل إلى مداه ، وبدأت البصيرة عملها من حيث انتهي
البصر ، فإذا أبواباً صخرية موحدة ، وراءها الخلفاء وأسرار ،

فجلجل في أذنك - أو أوحى إليك ... بأن تدع السماء
تصاريفها ...

ولكن ... لا غبار عليك ، فلست أول مفتون بحيال
الميثولوجيا اليونانية التي غلت أحقاباً وأحقاباً مصدرراً للإلهام
الشعراء ... ولعلك جاعل لمصر نصيباً في غير هذه المنظومة
إن شاء الله .

هنا من حيث الموضوع ... أما من حيث الشكل فالنقد
أيسر ما يجري به قلم الناقد ... ولعل أول ما يلفت النظر في
سياق أشباح وأرواح هو طريقة الانتقال هذه من مقطوعة إلى
مقطوعة ، ومن حوار إلى حوار ... ولو كانت المنظومة تمثيلية
لما كان ثمة موضع لمواخضة . ولكن المنظومة قصة خيالية ،
فلماذا لم تُنظم هذه الكلمات الانتقالية التي كتبت بالمداد الأحمر ،
مع أنها تصور مناظر خلاصة كهذه الكلمات التي مهد بها لمقطوعة
« الحية الخالدة » ، والكلمات الواردة في صفحة ٦٤ التي يقول
فيها : (هـرمن ينظر إلى غمام بيض) قريبة وكأنه يترقب شيئاً
والتي في صفحة ٦٥ والتي في صفحة ٧٨ التي تصور انشقاق
الغمامة عن الشاعر في موقف اضطراب ...

لقد كان هوميروس بارعاً جداً في مثل هذه الانتقالات ...
لقد كان يُطغى أخيل مثلاً بكلام ، فإذا انتهى أخيل وأراد
خصمه هكتور أن يشكلم ، فجاءت عبقرية هوميروس في وصف
أثر كلمات أخيل في نفس خصمه ، وفي نفوس الطرواديين ...
فإذا تشكلم هكتور وفرغ من كلامه ، مهد هوميروس للنظر
الذي يلي بشعر يعتبر من غرر الإلياذة الخالدة . وكذلك كان
يصنع في الأوديسة . ومنظر انشقاق الغمامة عن الشاعر هو
منظر تصويري مبتكر ، فكيف يكون خيال شاعرنا الرقيق
الوهوب أكثر عبقرية من تسييره السكالي ؟ ولماذا لم يلبس هذا
المنظر حالته البهية السفية من شعر على محمود طه البهي السني ؟
لماذا ! ... لماذا هذه السرعة في الإخراج ؟

ولقد تفتيت طويلاً بحسن اختيار الشاعر لبحوره وقوافيه ،
ولكنني لاحظت مع ذلك أنه كان ينم أحياناً عن اختيار هذه

وقضايا وأقدار ، وإذا به في ختام قصيدته لا يزال في ذات الطريق
لم يصل إلى غاية ، ولم يوف على نهاية ...) ويخبرنا أنه سمع حواراً
في عالم الأسرار والأقدار يجري بين حوريات من صواحب
الفن وربانه ، هن : سافو وبليتييس وتاييس ... ثم هرمز ...
أو هرميس كما سماه الشاعر ... يحكم بينهم ^(١) ...

فلو أن هذا هو الذي يقرأه الإنسان في تلك المنظومة
الغريبة لمان الأمر ولما اتهمت نفسي بالبلادة وفهمي بالنباه ...
لكنني أقرأ من هذه المنظومة هذه المقطوعة العجيبة الشائقة
« حواء » ^(٢) فأجد قلباً يجيد وصف المرأة . هذه الجنة التي زان
بها الله وجه الحياة ... وأجد هذا القلب يعترف بالله وبالأقدار ،
وذلك حيث يقول :

قضى الله أن تغوى الخالدين وتغرى بالمجد عشاقها
وحيث يقول في ختام المنظومة :

من الخير والشر إلهامها . وما هو إلا القديم السماع
فدع للسماء تصاريفها فقد أذن البعث بعد انقطاع
وهي آيات يرددها صوت من السماء ... فإن هو هذا الانطلاق
من البهية والمقيدة ؟ وأين هو طريق أفلاطون ومثله العليا ؟
أقول لك الحق يا صديقي على ! إلى أعرفك أكثر عما تعرف
نفسك ، ... ورأيي فيك هو الذي أعلنته في كتابي السابقة حينما
دافعت عنك . ودفعت عنك ما يظنه الناس فيك ، وما تظنه
أنت بنفسك من البعثرة بين الزهر والحجر ، وبين أطيايف سافو
وأفروديت وتاييس وبليتييس ...

على أنني لست أدري لماذا تستأثر بحياالك أشباح اليونان
الغابرة ، ولماذا نسيت في هذه الأشباح والأرواح مصر الخالدة
الحاضرة ؟ فهل رأيت كيف لم تستطع الانسلاخ من الشرق
المزرق الحبيب حين هتف بك هذا الصوت من السماء في آخر
المنظومة ، فردك إلى وادي الوحدةانية المؤمنة ، وأقصاك عن
الأولب الوثني ذي الآلهة المتعددة ، وذلك حينما قلت :

أم الشك آذنتي بالصرا ع أم حل بي غضب المنتقم

(١) من مقدمة أرواح وأشباح مع تحويين الضمير إلى الغالب

(٢) ص ٦٦ وما بعدها

للبحور ، وبنام عنها ملء أحفانه . وكان حين يصنع ذلك يرسل
كلاماً لا هو بالشعر فتعتمد موسيقاه ، ولا هو بالنثر فتحمل
هجره : ومن ذلك هذا الكلام الذى تقوله حوريتنا ربة الريح
الغريبة فى أغنية الرياح الأربع ص ٧٣ :

أنا ربح الغرب بنت الآباد
أنا همس القلب أنا رجح الشادى
أنا رمز الحب فى هذا الوادى

ثم هذا الكلام الذى يقوله ماتوكا المبد الأسود ص ٩٥ :

مائدة حافلة كثيرة الأغراء
جاءت بها قافلة تداف من سيناء

فإن موسيقا على محمود طه وأبن غناؤه وألوانه فى هذا
الكلام ؟ وقل مثل هذا فى ذلك النشيد الذى يهرف به
باتوزيس جل ٣٣

وأحسبى قد انزلت برغى إلى أعماق أعماق الناحية
الظلمة من على محمود طه ، وعلى الرغم منى ... ولذلك فانا أوتر
أن أعبر هذه الظلمات القليلة فى سرعة خاطفة ، لأن أنوار
الشاطىء الآخر الثلاثة تجذبني فى قوة وعنف ...

فما اصطدمت به فى تلك الظلمات انتقال الشاعر فى كلام
المتحدث الواحد من بحر إلى بحر ، كما يقول ماتوكا (ص ٩٦) :

هو عند الشاطىء يستقضى نبأ ويسائل ركبانا
إث شاء سيدى أمر أرفع هاتيك الستر

ولست أدري لماذا لم ينظم البيت الثانى من العذارى كالذى
قبله ؟ فإن اعتذر بأن البيت الثانى كان فاتحة كلام جديد ، فما
أظنه حسيباً بياتوزيس الشاعر أن يجرى وراء ماتوكا الخادم فى
بحر يستفتح له ١

ومن ذلك قول أزمردا ص ٤٠

أقيم فى قصر ؟ وفيه القصور ؟

وطوع سلطاني هدى البحور ؟

وعضى فى النظم على هذا الميزان ، ومن تلك القافية ، ثم

تراه يغير الميزان ويسقى على القافية فيقول :

يشير أهواء الحسان الحور
حتى ترى فى ظله المنشور
يحملها إلى السد القدور ؟

ولست أدري ما ذنب هذه المصاريع الثلاثة الأخيرة لتشد

عن موسيقا المصاريع المشرة التى سبقتها ؟

ومما صدمنى فى هذه الظلمات القليلة بمض الانحرافات
« النحوية » التى لا أسيغها ، ولا أحسب أن لفتنا العربية
تسيغها ...

فمن ذلك أفراد فعلاء التى تصف جماعاً إذا كانت فعلاء هذه
صفة لونية ... فالنرف الحمراء ص ٣٦ خطأ فى رأيى ، والصحيح
أن يقال « النرف الحمر » ولا داعى مطلقاً إلى تحدى الناس
جميعاً بأن يوردوا مثلاً واحداً أفردت فيه فعلاء اللونية إذا

وصفت جماعاً من قرآن أو كلام جاهل أو إسلامى ... ولنى يقبل
عذر معتذر بأن أعلام كتابنا يستعملون ذلك اليوم

ومن الانحراف النحوى أيضاً قول الشاعر « لا زال »
ص ٤٨ والأصح « ما زال » وتستعمل لا فى المضارع فيقال
« لا يزال »

ولست أدري معنى « اضطرح » ص ٤٩ وهو يريد اضطرح
بالطاء الشددة

ويقع الشاعر فى هذه الغلظة الدائمة فيقول : الأسى الذى لا
مكان للدوى « الملاح التائه ص ٨٠ »

على أن هذا كله ليس شيئاً فى مقائن شاعرنا الرقيق المبقرى
الموهوب ، الذى أصبح لساناً من ألسنة مصر الحديثة تدخره
لمجدها وتنطوى عليه حناياها .
درينى فنية

حكم فى اللجنة ٧٧٢ مصرية الجديدة سنة ٩٤٢ بحسب أحمد
سلطان كريم ثلاثة أشهر والنشر والتعليق والنقل والمصادرة لمرثى البيع
خبراً بأزيد من التسمية

الطبيعة توحى والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

- ٢ -

لم أذكر في مقال الأول شعراء الطبيعة في الشرق والغرب على سبيل المحصر، بل ذكرتهم على سبيل المثال. وما كنت في معرض ياذن لي بأن أتبع شعراء الطبيعة واحداً واحداً في العالم كله، وأحصرهم جميعاً في مقال واحد في مجلة أسبوعية تنضيق صفحاتها عن المحصر في موضوع يعجز الكاتب أن يستوفي جميع أطرافه. فذلك عمل أولى أن يكون موضوعاً لكتاب يكتب ويحفظ على سبيل الرجوع إليه، لا مقالاً في مجلة تختلف أقاليم الكلام فيها باختلاف الكتاب ونوع اختيارهم لما يكتبون ولم أنشأ أن أجمل لفالي الأول لحقاً يلحق به، أو حلقة ثانية، ولكن الأديب الفاضل الأستاذ حسين الفحام استدرك على مقال بعض أشياء رأى أن يذكرها لي في كتاب خاص. فرأيت ألا أحرم قراء الرسالة الاشتراك في موضوع لم يعد لي وحدي؛ ولكنه أصبح موضوع كل قارىء. ومن حق القارىء على الكاتب ألا يقفل رأيه أو يهمل استدراكه. وخاصة إذا كان المستدرك أدبياً في نفسه وأدبياً في درسه. فاستدراك أدبيتنا اليوم فيه كثير من الاطلاع على الأدب الغربي، وفيه كثير من الأدب في الاستدراك؛ وذلك شيء يشجع الكاتب على المضي في عمله، ويفريه بالاستمرار في البحث يأخذ على المستدرك الفاضل أنني ذكرت ناساً وتركتم ناساً أشهر منهم من شعراء الطبيعة. وشطر هذا الكلام حق فاقصدت أن أعد شعراء الطبيعة جميعهم لا أستثنى منهم أحداً؛ ولكنني قصدت المشهورين ممن أكثروا في وصف الطبيعة وكانت إلهاً لهم وروحاً لشعرهم. ولو كنت في مقام يقتضى المد والمحصر قد ذكرت مثلاً توماس ناش ١٥٦٧ - ١٦٠١ م

الذي عاش قرابة ثلث قرن وعاصر جرّين ومارلو، ومات بعد حياة كانت أملاً بالكفاح والنضال منها بالدعة والمرح. ولهذا الشاعر غرام عجيب بالطبيعة. وكان من حقه أن أنظمه في سلك شعراء مقال الأول؛ إلا أن شهرته الأدبية لا تمدل شهرة من ذكرت وله أبيات في الربيع عنوانها Spring يقول منها:

للروج معطرة الأنفاس
والأفاحي قبيل أقدامنا
وأحداث المشاق يلتفتون
والزوجات العُجُز يضحجن في الشمس
وفي كل نية تُحي آذاننا زقزقة الطيور

ولو كنت في مقام يقتضى المحصر والمد لذكرت مثلاً بن جونسون ١٥٧٣ - ١٦٣٧؛ وذكرت معه أبياته الرائعة بعنوان الطبيعة النبيلة The Noble Nature

ولدت كرت روبرت هريك ١٥٩١ - ١٦٧٤؛ وذكرت زيادة على أبياته في زهرة الدافوديلس قصائده في البنفسجة، والبربروز، وبراعم الكرز، والشب. فهو في هذه الموضوعات مُنَمِّنٌ للطبيعة. ولقد يكون في أفكاره شيء من التفاهة؛ ولكنه يتخلل على تلك الأفكار ثياباً من تعبير يكسبها نضارة قطرات الندى في نهشبر الصباح

ولدت كرت الشاعر ويليام كولنيس ١٧٢١ - ١٧٥٩؛ وذكرت قصيدته غير التفاهة التي عنوانها «إلى مساء» ولو كنت في مقام يقتضى المحصر والمد لذكرت والتر لاندور ١٧٧٥ - ١٨٦٤؛ وهو الذي يقول في إحدى مقطوعاته:

«إنني أحببت الطبيعة، وأحببت الفن بعدها»

ولدت كرت لورد تينسون ١٨٠٩ - ١٨٩٢؛ وذكرت قصيدته التي يخاطب بها البحر قائلاً:

تكسر! تكسر! تكسر أيها البحر!

على صخورك الباردة اللواكن

وذكرت قصيدته «الجدول» التي أنطق فيها الجدول

وهذا كلام فيه بعض الحق . فليبد الرحمن شكرى في ديوانه
الأول قصائد خطرات في المساء ص ٤ ، أو حنين التروب عند
الشمس ص ٨ ، وتحية للشمس عند شروقها ص ١٦ . والحب
والليل ص ١٨ ، والروض بالليل ص ٥٥ ، والبرق ص ٥٥ ، وغيرها .
وله في ديوانه الثانى رثاء عصفور ص ٦٣ . وله في ديوانه الثالث
سحر الريح ص ٧ ، والشمر والطبيعة ص ١٦ ، وله في ديوانه
« زهر الربيع » قصيدة ترجس ص ٤٨ ، وقصيدة حديقة الصيف
ص ١ ، والطائر الحبيس ص ٦

وللعقاد كذلك قصائد ومقطوعات في الطبيعة . وأطولها
قصيدة في « الكروان » التى ضاعت منها الوحدة الموضوعية التى
نبحث عنها في الشعر العربى الحديث

ولما زنى كذلك مقطوعات في الطبيعة ، ولكن الحق كل
الحق أن شاعراً مصرياً لم يتفرد بوصف الطبيعة والجلوس إليها
والانفجار فيها كما فعل الشاعران اللذان ذكرتهما في مقالى الأول
وهما المرحوم الممشى وشاعر البرارى

ولو كانت قصيدة واحدة أو بضع قصائد تكن لأن نسلك
صاحبها في عداد شعراء الطبيعة ، لسلكنا فيمن سلكنا
حافظ إبراهيم وأحمد شوقي و خليل مطران وعلى محمود طه
والله كتوناجى وعبد العزيز عتيق ، وكثيراً غيرهم ممن يضطروننا
ضيق المقام إلى عدم ذكر أسمائهم .

وعلى المستدرك التحية والسلام

محمد عبد الفتى

الترق من حين فيجس إلى حين يتصل بالنهر ، ماراً بالهضاب ،
مترراً مع الأحجار ، مخترقاً الحقول ، محتملاً فوق مائه برعمة
طافية أو عشبة يابسة ، ملتقياً بهما في أحضان تياره المندفع فوق
صفار الحصى

ولذ كرت برونتج ١٨١٢ - ١٨٨٩ ؛ وذ كرت قصيدته
« أفكار نحو الوطن - من البحر »

ولو كنت في مقام يقتضى الحصر والمد لذ كرت شارلس
كنجلى ١٨١٩ - ١٨٧٥ ، وذ كرت قصيدته « أغنية إلى
ريح الشمال الشرق » ، ولذ كرت وليام موريس ١٨٣٤ - ١٨٩٦
وذ كرت قصيدته « فجر الصيف » وهى لوحة على إيجازها
مملوءة بالخصب من الألوان . ولذ كرت سويترون ١٨٣٧ ،
١٩٠٩ ، وذ كرت قصيدته « حديقة مهجورة » ولو أنها أميل
إلى شعر التأمل والتفكير الفلسفى منها إلى شعر التصوير والطبيعة
: لو كنت في مقام يقتضى الحصر والمد لذ كرت هؤلاء وكثيراً
غيرهم ممن صادفهم قارىء الأدب الإنجليزى ؛ ولذ كرت غيرهم
من شعراء الطبيعة الفرنسيين ؛ ولذ كرت غيرهم من شعراء
البرية ممن لم أذكرهم في مقالى الأول اكتفاء بمن ذكرت ؛
ولأضفت إلى هؤلاء بضعة من الشعراء اقترحهم على الأديب
حسين الفنام في رسالته الخاصة ، أمثال إمرسن ويوسف كيزار
وكبلنج ولونفلو فى أدب اللغة الإنجليزية . وبوشكين فى الأدب
الروسى ؛ ولأضفت إليهم - من عندى - بريدجز ، وهوسمان ،
وتوماس هارى ، وشارلس سورلى ، ولاير من شعراء القرن
المشرين ، وأضفت إليهم كذلك روزنبرج ؛ ودادى لوبس ،
وبيكس ، وليون ، وغيرهم من المزمورين

نعم ، لو كان المقام يقتضى الدراسة الواسعة والبحث المحيط
لخصصت كل واحد من هؤلاء بمقال ، وأضفت إليهم غيرهم ممن
لم أذكرهم ولم يذكرهم المستدرك الفاضل ، ولكن دواوينهم
مطبوعة يرجع إليهم من شاء من طلاب التوسع والمزيد
وهناك اعتراض آخر ، وهو أنى لم أسلك عبد الرحمن شكرى
والعقاد والنازنى مع من سلكت من الشعراء المصريين
والمترضى يقول (ولكل واحد من هؤلاء غير قصيدة
واحدة في الطبيعة)

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة لمصحفان

نشر بإعلان وزارة المعارف ١٨٣٩

بالعدد ٥٥٣ على الاستمارة ج . ح

والصواب على الاستمارة ١٦٧ ج . ح

من إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

كتب الكاتبون قديماً وحديثاً في إعجاز القرآن ، ولكن ليس كمثل الأمثلة العملية الواقعية يبان لذلك الإعجاز . ومن أحدث هذه الأمثلة وأعجبها ما وقع من الدكتور زكي مبارك أو « الكاتب المجهول » كما يسمى نفسه في العدد ٣٥١ من الرسالة

والدكتور زكي مبارك كبير الإعجاب بنفسه يظن أنه أحاط بالأدب العربي من أطرافه : أطراف الثمر وأطراف الثمر ، فلم يدع لكاتب ولا شاعر شأراً معه . تعرف ذلك في دعاواه الطويلة المريضة التي ينثرها عيناً وشمالاً بغير حساب فيما يكتب من مقال ، وما يؤلف من كتاب ، كأنما أراد أن يكون المثل المتجسم لقانون التمويه النفسى في الأدب ، فهو يموض نفسه عما فاته من ثناء الناس بالبالغة في الثناء على نفسه ، وهذا شيء لم يكن يفهم لولا أن إعجاب الدكتور بنفسه انقلب فيه غموراً ، وأن الغرور بلغ منه حداً جعله يطاول إلى مقام القرآن الكريم ، يشكك في إعجازه تارة ، ويكاد يصرح أنه من كلام البشر تارة أخرى ، ويدعو إن بتليح وإن بتصریح إلى تناول القرآن بالنقد ، كأنما يظن أن ذلك في مقدوره لولا أن المسلمين لم يستمدوا بمد لتلقى كل ما عند الدكتور

وسولت له نفسه أن يكتب مقاله « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » ، ولأمر ما رأى أن يوقه بغير اسمه ولكنه نسي نفسه حين أمن أن يعرف قرى بها عوراء غزية حين كتب : « أما بعد ، فأنا لا أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » ، وإنما أعوذ برب الفلق من خير ما خلق ، وهو الجلال . لعلك لو فاشت عن قلبه حين كتب هذا لوجده نبيرواً به . يرى أنه جاء بطريف وهذا خذلان الله لكل

من يلحد في آياته : يخفى عنه الغلظة المنكرة لا تخفى على العاى من الناس .

والغلظة المنكرة هي جهله أن كلمة « شر » في الآية الكريمة اسم لا أقبل تفضيل ، وأن الفرق بين معنى الآية كما فهمها وبين معناها كما أترت كالفرق بين الجاد والحي ، والإعجاز وغير الإعجاز

وإذا أدرك زكي مبارك غلظته فحاول أن ينكر أن (شر) في جلته أقبل تفضيل كذبت كلمة (خير) في نفس الجملة ، إذ لا شك مطلقاً في أن (خير) في جلته تلك أقبل تفضيل جاء في مقابلة « شر » أقبل التفضيل الآخر في أول الجملة . إن كلمة شر إذا كانت اسماً مضافاً إلى ما الموصولة ، كما هي في الواقع في قوله تعالى (من شر ما خلق) في السورة الكريمة المعروفة ، شملت كل شر لكل مخلوق ، فالاستمادة بالله من شر ما خلق على هذا الوجه هي استمادة تامة كاملة لم تدع موضعاً لاستدراك مستدرك ولا للعب لاعب . فإذا أراد مغرور أن يلعب باللفظ تطرفاً واستطرافاً سقطت استمادة الدكتور زكي مبارك . قد يكون الجلال خير ما خلق الله وقد لا يكون ، لكن إذا كان للجهال شر يخشى ويستماذ بالله منه فقد دخل في الشر المطلق شر كل مخلوق خلقه الله ، وهو ما أمر الله الإنسان بالاستمادة منه برب الفلق ، فلا داعي هناك قط إلى تموذ جديد من الجلال أو من قير الجلال

فانظر الآن إلى ما بطراً على المعنى من التخيير والتضييق والنقض بجمل (شر) أقبل تفضيل كما فهم صاحب النثر الفنى . لقد انفتح له بذلك من ناحية باب الاستدراك فقال إنه لا يعود من شر ما خلق الله ولكن من خير ما خلق وهو الجلال . ومن ناحية أخرى صارت الاستمادة على هذا الوجه مقصورة على شر أكثر خلق الله شراً ، وتركت ما عدا ذلك من شر كثير حراً طليقاً يصيب من الإنسان ما شاء . فأى استمادة هذه التي ترك التموذ عرضة لأكثر الشر في جلته ، أو لشر كثير على أقل

أحزان الوحدة !

للأديب عبد الرحمن الخنيسي

دَرَرَى يَا وَخْشَى كُلِّ مَنَاءٍ

وَعَلَى أَنْفَاصِهِ سِرٌّ يَا عَنَاءٍ

وَأَعْيَنِي بِي يَا شُجُونِي عَمِيقَةً

تَحْمِلُ النَّفْسَ إِلَى وَادِي الْقَنَاءِ

أَنَا أَفْرَدْتُ وَلَا مِنْ مُؤْنِسٍ

يُبْعِدُ الْوَحْدَةَ عَنِّي وَالشَّقَاءِ !

تقدير: ؟ فلو كان هذا المعنى مقصوداً في كلام أديب لكان ميباً عند أهل البلاغة ، ومع ذلك فهذا هو ما فهمه من كلام الله الدكتور زكي مبارك المستأثر ببلاغة النثر والشعر الحائز لكثرة الأدب العربي من باريس بكتابه النثر الفني الذي زعم فيه أن القرآن من كلام البشر ودعا فيه إلى نقد القرآن

فكان الله سبحانه أراد أن يضرب مثلاً لخلق من إيجاز كلامه على يد شاك بظن أنه ملك ناصية الكلام ، فقيض الدكتور زكي مبارك ، لا ليبدل لفظاً من لفظ ليسكون لفظ القرآن هو الأفصح والأبلغ ، ولكن لينقل لفظاً بعينه من وجه إلى وجه ، من الإسمية إلى الوصفية ، ولا يكون هذا اللفظ إلا أبسط كلمة في أبسط آية يفهمها حتى عوام المسلمين في أنحاء الأرض ، ليحيى المعنى قافياً بعد سروره في ذهن الدكتور ، ولينبئن للناموس مثل من عزة القرآن وإيجازه ، وأن صاحب النثر الفني لا يفقه فرق ما بين الإيجاز وغير الإيجاز ، وأنه ليس من القرآن الكريم في حقيقة ولا مجاز .

محمد أحمد القماري

أَنَا أَفْرَدْتُ فَيَا مَنْ مَرَّ أَنْ

يَتَلَقَّاهَا خَبْرًا الشُّمْرَاءِ

أَيْنَ أَلْفَاكِ ؟ ابْرُغِي فِي عَالِي

تَنْفَعُ لِي آفَاقُ الرِّجَاءِ !

هَذِهِ الْوَحْدَةُ مَاذَا بَعْدَهَا

يَا زَمَانِي يَنْطَوِي لِي فِي الْخَفَاءِ ؟

أُخْرِقِ بِالشَّعْرِ أَجْفَانِي يَا

أَعْيُنِي وَاسْتَعِذِي مَرَّ الْبُكَاءِ

أَنَا أَفْرَدْتُ فَيَا غُرْبَةً مَا

كُنْتُ لِي غَيْرَ مَعِينِ الْبَرَّاءِ

فَانْزِقِي يَا أَضْغَى فِي وَخْشَى

حَرَّ مَا يُنْزِعُ قَلْبِي مِنْ دِمَاءِ

هَاتِيهِ الْأَنْجُمُ مَنْ يُفْرِقُهَا

فِي أَوَادِيكَ يَا بَحْرَ السَّمَاءِ !

نَمَّ مَنْ يُطْلِقُ رِيحًا مَرَصَرًا

تُعْطِيهِ الْمِصْبَاحُ فَالْدَارُ خَلَاءِ !

عُرْفِي لَا تَعْرِفُ الْأَصْوَاتِ يَا

شِفْوَةَ الْهَائِفِ إِبْرَانَ الْقَدَاءِ

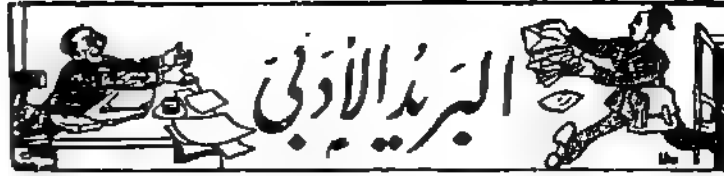
إِنْطَقِي أَيْتَهَا الْجَدْرَانِ ، أَوْ

فَأَمْسِئَتِي وَأَهْدِي نَوَاقِصَ الْبِنَاءِ

وَقْنِي أَيْتَهَا الْأَرْضُ ! وَلَا

تُعْطِي الدُّورَةَ فِي هَذَا الْفَضَاءِ

عبد الرحمن الخنيسي



محميل بئينة

جميل جداً أن يتجه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد إلى كنوز الأدب العربي بجلو صفحاتها ببيان للطرب المعجب العميق . وقد كان من أواخر ما تجلته لنا راحته الفياضة من هذا التبيل « جميل بئينة »^(١) في شعره وفي سيرته ، فلا بذلك فراغا كان يشعر به رواد الأدب الحديث . وكان بثنائه هذا اللحن الجديد في هذا الموضوع القديم يمثل بحق دور « الكاتب البار » الذي تحدث عنه « سنوسي » في قصته^(٢) عن لسان أحد أبطالها المبدعين .

وقد استوعبت رسالة الأستاذ عن « جميل » مطالعة وإسماعاً ملتناً بما تحويه من أفانين النظريات النفسية الحديثة ق عرض كله إمتاع . وفي أثناء مطالعته لفصولها تبنت لي بعض ملاحظات لا تؤثر على جوهرها ولا فضلها ، وهذه هي :

أولاً : يصف الأستاذ بئينة « بالحن » مستدلاً على ذلك بحديثها مع عبد الملك بن مروان حين قال لها ما الذي رأى فيك جميل ؟ فقالت : الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك . ويصقب الأستاذ على هذا بقوله : « مثل هذه الحاقة لا تظهر في الكهولة إلا إذا كان لها أساس أصيل من بداية العمر » . والذي يلوح لي أن إجابة بئينة لا تنفي عن حق ، بل هي تشف عن حماسة رأى ورجاحة عقل وسرعة بديهة وجرأة قلب ، شأن الكيسات الفصيحات من نساء عرب البادية . فبعد الملك إنما سألتها بما سأل مبتكراً غامضاً من جمالها وقادحاً في جميل الذي فتن بهذا الجمال الروم . وسرعان ما أدركت غرضه فردت له الكيل بكيل مثله ثانياً : في الصفحتين ٨٦ و ٨٧ من فصل « مكانة جميل الشعرية » مال الأستاذ إلى نظرية الثائلين بتقديم جميل الشعرية في التسبب خاصة على شعراء الجاهلية والإسلام . وفي الصفحة ٩٨ نقض هذه النظرية . فأيهما أجدر بالاعتبار والتقرير ؟

(١) الجزء الثالث عشر من سلسلة « اقرأ »

(٢) الجزء الثاني عشر من سلسلة « اقرأ »

ثالثاً : يقرر الأستاذ خطأ مدرسة « الاستحسان » التي تقرر بأن من وصف محبوبه بأنه كالشمس أغزل عن شبهه بالبدر أو كوكب من الكواكب . وقد ساق ما لا مزيد عليه من الأدلة لتوطيد هذه النظرية الطريفة ، بيد أنه خرج من ذلك في الصفحة ٧٨ إلى أن قول جميل :

رى الله في عيني بئينة بالقذى وفي القمر من أنيابها بالقوادح
ينأى به عن اتباع المذهب الاستحسان في تنزله . والذي يبدو لي في هذا القول أنه ليس فيه ما يجاني جيلاً عن المذهب المذكور ، فهو لم يقدح في جمال عيني بئينة ولا نقرها ؛ بل ما زال مستحسناً لها كل الاستحسان ، وناهيك بوصفه الأنياب بالنقر . وغاية ما يجمّل أنه كانت تستبد به أحياناً عوامل الغرام فيصاب بما يصاب به الوالمون في مثل هذه الساعات من ذهول واضطراب يميلانه يتبرم بكل شيء في الحياة ، حتى أن حبيبته التي هي أعز ما في الحياة لديه يمتنى أن تذوق شيئاً من الشقاء ، حتى رغم على العطف عليه فينعم بهذا العطف وحسبه ذلك . على أن جيلاً نفسه فيما رواد الأستاذ في « مختارات شعره » ص ١٤١ قد وصف محبوبته بأنها كالبدر ، ووصف غيرها من النساء بأنهن كالشواك من الكواكب فمن دونها جبالاً ، وبهذا اتبع مذهب « الاستحسان » ، وذلك حين يقول :

هي البدر حسناً والنساء كواكب

وشتان ما بين الكواكب والبدر

« مكة المكرمة »

عبد القدر من الوفاء

١ - بين حمرة والمناري

دهشت لما قرأت حكم الأديب عبد الحميد عبد المجيد بأن نسبة الأبيات التي أولها :
وقانا لفحة الرضاء راد سقاء مضاعف الفيث العميم الخ
إلى أبي نصر أحمد بن يوسف النازي خطأ وإنما لمدة الأندلسية . دهشت لأنني أعلم أن هذه الأبيات مما تنازعها الشرقيون والأندلسيون قديماً ، بل لقد أجمع أدباء المشرق - كما يقول ياقوت في معجم الأدياء - على نسبة هذه الأبيات للنازي التوفي سنة ٤٣٧ وتسميها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حمدة بنت زياد

وفي وقفات الأعيان لا ينحصر أن للنازي اجتاز في بعض

أسقاره وادى « بزاعا » - قرية بين منبج وحلب - فأعجبه حسن هذا الوادى وقال هذه الأبيات في وصفه .

٢ - قيس بن عبيد القرب بن عبد القرب هذيل بن مسمود

ذكر صاحب الأغاني (ج ٨ ص ٩٤) أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسمود قال في زوجته عشة هذه الأبيات :
تنفلح حب عشة في فؤادى فساديه مع الخافى يسير
تنفلح حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
صدعت القلب ثم فدرت فيه هواك فليم فالتأم الفطور
إلى آخرها وهي ستة أبيات رقيقة باكية . وذكرها أبو علي الفاي في ذيل الأمانى (ص ٢١٧) ونسبها إلى عبيد الله أيضاً إلا أن صاحب الأغاني ذكر في صفحة ١١٣ ج ٨ البيت الثانى والثالث ونسبهما إلى قيس بن ذريح صاحب لبنى في قصة طريفة ذكر أنهما من شمر قيس . فأى تولى الأصغرى نصدق ؟
برهانه البرهانه الماغنى

الشيخ محمد عياد الطنطاوى

.. رجا فاضل في هذه المجلة (في العدد ٥٤٩) ممن يثر على تاريخ هذا الرائد المجهول أن يدلى على صفحات الرسالة بالمصادر التى يمكن الرجوع إليها عنه

وتلبية له أشير إلى أن المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا قد عني بجميع أخباره ونسقطها زمناً ، وبذل في ذلك جهداً مشكوراً ، ثم نشر ما وصل إليه في مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٢٤م (المجلد الرابع ص ٣٨٨ - ٣٩١)

ثم جاء المستشرق الروسى المعروف : (أغناطيوس كراتشكوفسكى) من أكاديمية العلوم الروسية ، فاستدرك على تيمور باشا بعض استدراكات مفيدة جداً نشرها في المجلة المذكورة (ص ٥٦٢ - ٥٦٤) من المجلد الرابع ، ذاكرة أن للفقيه ترجمة بقله ، وآثاراً علمية من تأليفه ، تحتفظ بها مكتبة الكلاية في بترغراد وكلها بخط مؤلفها ، وأشار إلى مصادر عن حياته لا تخلو من فائدة ، كما صحح خطأ المستشرق هيار Huart في تاريخ وفاة الشيخ محمد عياد الطنطاوى رحمه الله

(دمشق)

سبحه الله

« بغداد »

عفى الله عنه

إلى الأستاذ قدرى طوقان

قرأنا لكم كتابكم العظيم « الكون المجيب » فحمدنا لكم هذا الصنيع إذ تنفذون إلى أعماق الكون دسائر الوجود بفكر ثاقب وقلب مؤمن ، وإذ أنا أطلع في مقدمة « ابن خلدون » عثرت على اصطلاحات فلكية لا أكون بجانب الصواب قلت إن أكثرها يحتاج إلى دراسة عميقة حتى يتبين منها ما أظهر العلم الحديث صحته أو بطلانه . وكان ما استوقفتى من هذه الاصطلاحات قوله : ص ٤٩ طبع مصطفى محمد [وقد تبين في موضعه من الهيئة أن الفلك الأعلى متحرك من الشرق إلى الغرب حركة يومية بحرك بها سائر الأفلاك في جوفه قهراً ، وهذه الحركة محسوسة] ؛ فما هو الفلك الأعلى وما عوامل قسره سائر الأفلاك على الحركة ، ثم ماذا يعنى العلامة ابن خلدون بقوله وهذه الحركة محسوسة ؟ وبدهى أننا حين قرأنا قول الشاعر :

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرون فتضحك الأقدار
لم تتعمق الفكر ولم تدقق الحساب مع الشاعر ؛ إذ قصارى المعنى الشمرى أن الحياة سائرة والمخاطبين جامدون : أما ابن خلدون الباحث الاجتماعى الذى شرقت آراؤه وغربت ؛ فلا بد من مناقشته وعرض آرائه على بساط البحث
فإلى الأستاذ الكبير قدرى طوقان أسوق الحديث .

ابراهيم السعيد محمود

استدراك

جاء في مقال من الشاعر الإنجليزى « شلى » في العدد ٥٤٩ من الرسالة : « أنه سافر حدثنا ليلى بكنية [تون] بأ كسورد » ، رسوايه : ثم بأ كسورد ، أى الجامعة الشهيرة ومى التى طرد منها الشاعر أخيراً . إذ كما يعلم القارىء اللبيب أن لا علاقة بين المؤسسين على الإطلاق

عفى الله عنه

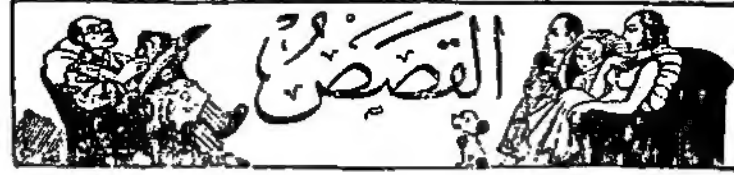
إلى صحراء مقفرة ، لا بهجة فيها ولا رواء
ومن يدري ؟ ربما كان الشيخ قد رأى في تنليه على
عوائق السن ودواعي الوفاة ، أطيب نحية يزجها للماطفة
الأنيمة التي قاضت من قلب « جميلة » قبل نصف قرن

من الزمان

كان ذلك حوالى عام ١٨٧٠ ، في قرية « بشرى » الهامجة
في أحضان الجبل على عتبة غابة الأرز ، ولم يكن معنى غير
أعوام منذ قد خلد خليل خوري أباه في مذبحه « دير القمر » وهي
إحدى المذابح البشعة العديدة التي خضبت في القرن الماضي جبال
لبنان بدماء بنيه من المسلمين والمارونيين . فلما دهم اليم
الغلام ، وهو ما يزال في الثامنة ، تلقفه بالمطف والحذب أكثر
من قلب ، وخاصة من أفراد أسرة الشيخ راشد والد جيرانه
الأطفال : بطرس وجميلة ومُتسى ، ومن ثم وجد الغلام في
ثلاثتهم إخوة يبادلونه ألعابهم وبصطحيته منهم كلما خرجوا
على ظهور الخيل للصيد بين الجبال

مرت أعوام ، وبلغ الفتى عامه الخامس عشر ، فإذا ببطرس
يفاجئه يوماً بالقول في لهجته القوية الآمرة : « إن جميلة سوف
تندو زوجتك يا خليل » ... وكان هذه الكلمات قد أثارت
في الفتى فتوته فسبقت بمشاعره سنه ، وإذا به يحس ضيقاً
مسكراً من الأحاسيس والأخيلة ، ثم إذا بالخيال يوشك أن يصبح
حقيقة ، حين يدرك خليل من حركات ومسات أفراد الأسرتين
أن زواجه من جميلة أغنى أمراً مفروغاً منه ... ولم لا ؟
أليست جميلة كأخته ؟ إذن فالتطور لن يصل إلى حد الطفرة ،
لن يبدو أن يكون خطوة قصيرة واستكمالاً طبيعياً لمودتهما
المذبة ، المودة التي وقفت سلتها عندها طويلاً ... إلى أن وقع
حادث نأقه بدّلها في قلب خليل إلى حب جارى ...

... وإنه ليدكر ذلك الحادث كأنه قد حدث بالأمس ...
كان خليل عائداً مع بطرس وجميلة - عصر أحد أيام الشتاء -
من قرية (حصرون) القريبة ، حيث كانوا يتناغون
بمضمار القراسيا والشمس الجففت . وإنهم في الطريق النائن
تحت الثلوج ، وإذا ببطرس قد أبعد في سيره طلباً للصيد



جميلة تحت ظلال الأرز

JAMILÉ SOUS LE CÈDRES

ملخصة عن قصة طوبى لهنرى بورودو

بقلم الأستاذ حلمى مراد

لم يكن يدور بخلدى ، يوم أن رست في الباخرة (لوتس)
في ميناء بيروت ، أن الأقدار قد هيأت لى أن أعود من زيارتي
للبنان بوقائع هذه الفاجعة : فاجعة قتلين فرقت بينهما شريعة
الدين ، فجتمت بينهما شريعة الحب . وما كنت لأقص خبرها
لو لم أسمعهما بأذنى من فم الرجل الذى كان شاهداً ، بل كان
واحداً من أبطالها ، قبل أن يكون رادياً

كنت قد عرفت « خليل خوري » في إحدى قرى لبنان ؛
كان شيخاً مارونياً في نحو السبعين من عمره ، طويل القامة ،
وسيم القسام ، مهيباً في عبادته الجراء وعقاله الأسود العريض .
وكنت قد قضيت اليوم معه في التجوال فوق قمم الجبال التي
تكسوها الثلوج ، حتى آن لنا أن نستريح ، جلستنا عند حافة
غابة الأرز المتيق ، نشرف من عل على الوادى السحيق ، حيث
يفيض نهر « قاديشا » من بين الصخور التي اصطفت بلون
الأرجوان ، وينساب بين المرامي والقرى وغابات البرتقال

وهناك تحت ظل أرزة ساحقة ، باح لى الشيخ الحزين
يسره الذى أقفل عليه قلبه طوال خمسين عاماً كاملة . باح لى به
تحت تأثير الحاسى الشديد ، وبحت وقر الكتان الطويل الذى
كثيراً ما يرهق الماشق كما يرهق المجرم الأثيم

قد يبدو غريباً أن ترد قصة غرام جارف على لسان مجوز
في السبعين ، ولكن عزاءه كان أن الاستغراق في الذكرى قد
أعاد له - ولو إلى حين - انفعالات الشباب ، فوجد في قلبه ، صرة
أخرى ، عاطفة الأيام الخوالي . الماطفة التي أحالت واحدة حياته

إلى الشرفة كل صباح كي يعلمن ... لكن الشتاء كان قاسياً
فطال بقاء الثلوج

وفي ذات صباح جميل ، رأى خليل يمدو كالطفل إلى بيت
جميلة وهو يقول : « جميلة ! ... جميلة ! لقد ذابت آخر قطعة من
الثلج ... لم يمد هناك ثلج » وأسرعاً جميعاً إلى الأب ، فقال لها
بصوت أغلظهما رزائته : « ستزوجان ... بعد أن ينفض عيد
الأرز »

... وجاء يوم العيد . وأقبلت على غابة الأرز جموع الميدين ،
من قرية بشرى وسائر القرى المتناثرة كالمنقود على جانبي النهر ...
ثلاثة آلاف نسمة أقبلوا لقضاء يومهم في الهواء الطلق تحت
ظلال الأشجار العتيقة ، يستمعون إلى الطقوس الدينية ،
ويتناولون طعامهم على العشب ، ويرقصون (الدبكة) ، رقصهم
الوطنية الجميلة ... حتى يغيب النهار فيعودون إلى بيوتهم
مع الساء

« وجلس أفراد الأسرتين تحت أرزة وارفة الظل مدت قصصهما
فوق رؤوسهم كأنها تباركهم وتحمهم ... جلسوا جميعاً :
خايل وبطرس ووالده الشيخ وجميلة وأختها الصغرى منتهى ،
ثم صديقاتهن : آيلة ونالة وراجيل ، وقد خلعت كل واحدة
تقابها الأبيض ونشرته على فرع من شجرة الأرز ... وكانت
جميلة تبتدو بينهن - وهي متكئة على وسادتها - كالملكة
في بلاطها . وأحس خليل بقبضة جارقة . إنها ستفدو له وحده
بعد أيام ... وبينما هو مستغرق في الحلم هس له بطرس بلهجة
تنطق بالحقد ، وهو يشير أمامه : « سلطان ! ... ماذا أتى
بهما ؟ ... ماذا يريدان ؟ وتلفت خليل إلى حيث أشار قرأى -
أعرايين شابين يرتجلان من فوق صهوة فرسهما الطمحين ،
وقد بدت طلعتهم رائحة رقبتهما وسيمة ... بلحنيهما
الحدادين ، وعيونهما السمراء التي ترسل نظرات من نار وتقدح
بفتنة لا يمكن تجاهلها ... ووراءهما تابان بحران الفرسين ، ولم
يكن الضيفان سوى عمر بك الحسين ، وعبد الرزاق بك عثمان ،
من أمراء عكار ، جاءا ينشدان النزهة والترويح عن النفس
دأب الشابين على تقليد البصر في وجوه القوم ، حتى
استقرت نظرات عمر بك على جميلة ، وثبتت عندها . لم يحس

في الغاية . وبقي خليل وجميلة ينتظران عودته ، وبينما هما يسيران
متجاورين ، لمست يد الفتى - عفواً - يد رفيقته ... كانت باردة
كالثلج ، فأخذها بين راحتيه يدهنها ويصيد إليها الحياة ،
برغم أن اللدغ والدم قد سريا إليها بعد حين ، فإنه قد استمرأ
أن يبقيا برهة أطول ، حتى قالت له الفتاة ضاحكة : « دعني »
فلم يبال رجاءها بل ضغط يدها أكثر ، ثم اندفع فجأة يقبل اليد
الرخصة بلا وعي ! ظلت الفتاة ساكنة ، لم يرعها هذا الاتصال
غير المألوف ، ولكنها عادت بعد برهة تقول له في صوت خفيض :
« هيا بنا نمود » ... ووافتها هذه المرة

وحين أبلغها بيتها ، وجدتم قد أعدوا لها نبيذاً دافئاً ،
ولكنه كان ثملاً بغير نحر . وتغيرت نظراته إلى جميلة ، رآها بعين
الماشق الفاحمة في ثوبها الصوفى الأبيض ، وراح بصره يتجلى
شمرها اللامع ورقبتها التي في لون العاج ، وخدها الدافئ
بحبوبة مشبوبة ، وعينها الزرقاوين كالبحر الهادئ حين يرى
من هامة غابة الأرز في يوم محو جميل ... ثم صوتها الذي بدا له
كأنه لم يسمعه من قبل ، حتى لقد ود لو يذوقه في منبسه : بين
شفتيها الحراوين كالعزم ، وأسنانها البيض كالثلج . وبالاختصار
وتب إلى ذهنه إدراك مبالغت : أن طفلة قد سارت امرأة
وعند ما وصل إلى بيته ، سأل أمه في اضطراب : « ألم تحني
الساعة بعد يا أمي ؟ » ولم يزد . وفهمت هي مراده بفرزة الأمومة
فضحكته وهي تقول : « كما تريد يا بني » ... وفي اليوم التالي
سار ثملاً مع أمه إلى بيت الشيخ راشد لخطبة جميلة . وبأمر
من بطرس ، وعلى ملا من الأسرتين ، قطف خليل من خدها
القبلة الأولى .

ثم جاء الربيع ، وأزهرت أشجار الفاكهة للفواحة الأربع ،
ولكن بقية من الثلوج البيض المتناثرة ، كانت ما تزال ترى
من شرفة بيت الشيخ راشد ، فسأل الفتى واجفاً « متى الزواج ؟ »
وأجاب الأب « حين تذوب الثلوج هناك » وكان معنى هذا
القرار : الانتظار حتى أغسطس . وهكذا صار الموعد هنا بحرارة
الشمس لا بحرارة قلب الماشقين ... ومن ثم صار الفتى يسرع

الحديث : امتدح الشيخ فرس عمر ، فقال هذا : « عندي أختها وتدعى سلمي . سأحضرها لك إذا شئت » ورحل الفارسان ، وعادت الأسرتان إلى القرية

وفي أثناء الطريق سار خليل وجميلة متجاورين ، صامتين كأن عتاباً خفياً يلجم لسانيهما ، وحين جلس خليل إلى مائدة العشاء - في بيتها - وجد على مقدمه غلافاً صغيراً فضه في عقلة السيون ؛ فإذا فيه خاتم الخطبة وكل ما أهدها إليها من حل !

تحطم قلبه بفتة ، ولكن أحداً لم يلحظ شيئاً ، فإن القلوب لا تحدث صوتاً وهي تحطم . ووجد في نفسه القوة على الكتمان . وفي اليوم التالي لقيها في الحديقة ، وجلسا معاً عند النافورة ، فكانت جميلة ترمقه بنظرة مشفقة ألينة ، ثم تخفض بصرها إلى ذرات الماء المتساقطة من النافورة في الحوض ... وجرى بينهما عتاب رقيق حزين كنفسيهما . سألهما خليل : « إنك لم تمودى تحبينني ؟ » وكان زائف النظرات ، فنفضت من بصرها ثم أجابت بعد حين : « هو ذاك » وعينها حاول أن يطرد من قلبها شبح عمر ، فإنه كان قد احتله وتحصن فيه . واقترعا على أمل يراود خليلاً ، بأنها ستنسى الفرس مع الأيام .

لم يمض يومان حتى عاد عمر ومعه الفرس التي وعد بها أبا جميلة ، وأعجب بها الشيخ راشد فسأل صاحبها من الثمن ، ولكن عمر أهله قائلاً له في لهجة حازمة : « سأحدد لك الثمن ... في الغد » وعينها ناقشه الشيخ فإنه أصر ، وإزاء إصراره وتمت ضغط المرح والنهامة والكرم ، دعاه الشيخ إلى قبول ضيافته وقضاء الليلة تحت سقفه ... وقبل عمر !

ما ذا حدث بعد ذلك في ضمير الليل ؟ لم يدرك أحد ... حتى أفاق خليل من نومه في الصباح مذعوراً ، على صوت بطرس يبلغ إليه النبا : إن الضيف قد فر ، وجميلة قد اختفت ... هل فرت معه طائفة ، أم خطفها ؟ من يدري !

وبعد ساعات كان بطرس و خليل محتلطين صهوة سلمي فرس عمر ، في طريقهما إلى بلدته (هكار) ... وراح قلب

خليل بديب الفيرة في بادىء الأمر ، ولكن النظرات طالت ، فهدأ الدم يصعد إلى رأسه . إن الفرس قد اجترأ على قتانه ... أليست هذه إهانة للمارونيين جميعاً ؟ وأخذ الاحتياج يمزجه ، ولكنه كتمه وعاد ينظر إلى جميلة . كانت قد اضطجعت على وسادة ناعمة ، في وضع أظهر فتنها صارخة ، وكان شعرها يحتمض ككتفها ، وشعاع من الشمس قد انساب من بين الفصوص فوق على خديها وطلاهما بلون الذهب أو الحنطة . ترى هل تم هيتها عن احتقارها لجرأة الفرس ؟ ولكنها تنظر إليه بدورها طائفة ، وعيونهما تتقابل . وأحس خليل أن عاصفة تجتاح نفسها وتسكر البحر الصافي في عينيها ، حتى تبدو عليها سمة الفتاة حين تسلم كيائها لانفعال حاد ، وخيل إليه أن عاطفتها الناعمة من نحوه قد تبددت ، جرفها الماصفة العاتية التي أمارتها في أعماقها نظرات عمر . ومن ثم أحس الفتى بحمله يتبدد رويداً رويداً ، وبحلقه يحيف ، فود لو يستغيث ، لكنه لم يجد صوته . إن نظراتهما ما تزال متقابلة في غير مبالاة بالجموع الفقيرة التي شغلها الطعام أو شغلها النغلة والنباء عن التنبه لما يجري . وأخيراً أفاق الماشق المذنب من غمرة أفكاره على صوت بطرس يسأله وهو يهز كتفه مراراً : « ما بالك يا خليل ؟ » فأجابته دون وعي : « إنها تنظر إلى الفرس » ونحك بطرس في سخرية ، واحمرت وجنتا الفتاة ، لأنها لا شك سمعت !

فرغ القوم من الطعام وبدأت رقصة (الديكة) بعد حين ، فرقص بطرس مع الجموع ، ثم نهضت جميلة ، فأخلى الكل الحلقة لها ووقفوا حولها يتفرجون في شغف ، وراحت هي ترقص وحدها في خفة الطير ، وكأنها من فرط رشاققتها لا تلمس الأرض . كان ذراعاها البشتان تدوران في الهواء ، واتخذت بشرتها لون أحجار (بمليك) حين يغرب عليها النهار . وفي كلمة ، كانت كاللهة الشباب والجمال والحب ، ثم فرغت من رقصتها بعد حين ؛ وتقدم خليل لينتها ؛ فإذا بها منشغلة عنه بتلقي نظرات الأعرابي الجميل . واقترب والدها وحب بالضيف ، وطال بينهما

الماشق المدنف يتاجى طيف محبوبته « جميلة ! ... أين أنت الآن ؟ ترى هل يقع بصري عليك بعد اليوم ، فأرى عينيك في لون البحر الهادي تحت أعتاب الجبل ، وأرى خديك الناضرين ورقبتك التي في لون العاج ، وذراعيك ، وشعرك ... شعرك الجليل ... إن الطل لا بد قد بلله ليلة أمس ، وأنت تحيطين بدن عمر بذراعيك فوق صهوة الفرس وهي تمدو بكما منسابة بين الجبال في الظلام ... جميلة ! جميلة ! إني آث في ظل إثمك أتمك ... ألا تسمعين يا جميلة ؟ » لكنهما لم تسمع ، فإن أسوار قصر عمر في (عكار) كانت غليظة وعالية !

وبعد أيام خرجت عكار عن يكرة أبيها إلى الطرقات ، وازينت ، كي تحتفل بزفاف المارونية التي أسلمت ، وكى تراها وهي تمر شوارع البلدة في هودجها الفاخر يتهاذى بها . وبينما كان الركب يخترق أحد الشوارع كان خليل ويطرس واقفين يستمرضانه في صمت وغيظ . وحين مر بهما الهودج وجميلة في داخله تبسم جذلة ، امتدت يد بطرس إلى غدارته ، وهم بإطلاقها ، لولا أن أقنعه خليل - والدموع في عينيه - بأن يعريت فأنه يريد لها حية ؟ وارتدت يد الأخ القاضب لشرفه . ومر الركب بسلام . ومضى التماسان مبتسمين ، والحنق يحفف حلقهما ويضن عليهما بالبكا .

وحين بلغ الوكب القصر ، وضم عمر عروسه إلى صدره ، كانت ظلال خليل ويطرس قد اختلطت بالظلام الذي يرين على الطريق ، حتى إذا كان الغد ، عادا أدراجهما إلى قريتهما

ومضت أيام وأسابيع وشهور ، والغضب للشرف ما يزال يتأجج في صدرهما وفي صدر الأب الحزين (الشيخ راشد) فإنهم جميعاً لم يكونوا قد طلقوا عنهم على استعادة جميلة بأي تمن !

وبعد سبعة شهور من الزفاف ، وفي أوائل الربيع ، عاد خليل ويطرس يتحدران بين غابات الصنوبر والأرز ، في طريقهما إلى (طرابلس) ، فقد أنامها النيا أن جميلة وعمر قد انتقلا إلى قصر آخر له هناك

ولم يطل بمحبهما عن ضالتهما ، فقد اهتديا سريعاً إلى القصر الباذخ ، حيث تعيش العاصية ، كآفة بشرية العشرة ، مؤمنة بشريعة الهوى

وبعد أيام - ومن نفس الطريق - عاد الشبان بصمدان الجبل إلى قريتهما ومعهما في هذه المرة ... جميلة ؛ فقد رفقاً إلى اختطافها أخيراً

وفي (بشرى) انعقد مجلس الأسرة لمحاكتها ، واعترفت التمسة بكل شيء : اعترفت بأنها قد قرت من كنف أسرتها غتارة ، وطلقت دنبا غتارة ، وتزوجت من عدو عشيرتها ... غتارة أيضاً

وصدر حكم الأسرة عليها بالإعدام . ووكل أمر التنفيذ إلى أخيها بطرس .

كم بكى خليل ، حين انقرد بالعاصية بعد صدور الحكم ، وكم أجهد أعصابه وهو يفقها عن حبها لمر ، محاولاً إقناعها بأن تشتري حياتها بالزواج منه هو ... لكنها أبت في إصرار ، وزاحت تتطلع إلى بعيد وقد رقت نظراتها وبدت كالحالة وهي تقول بصوت حزن : « إني أترجي ، فأنت لا تعرف حبيبي » ودق الباب ، ودخل بطرس - جلادها - فبكى خليل ، وإذا بها ترمقه بنظرة أوهها الإشفاق ، ثم تقول وهي تضع يديها على كتفيه : « كن شجاعاً يا خليل ... فلست بخائفة ... وهل يعرف الخوف من يعرف الحب ؟ »

ثم ذهبوا بها وقد اتزعروها منه بعد أن أوسدوا عليه للباب وحين تمكن من اقتحامه ، بعد لأي ، مضى كالمجنون ، يبدو باحثاً عنها ... حتى وجدها تحت شجرة أرز ... مذبوحة ! ولم تمض أيام حتى لحق بها زوجها عمر . قتل نفسه على قبرها ، بعد أن أوصى بأن يدفن معها في نفس القبرة ... القبرة التي ما تزال قائمة حتى اليوم خارج بلدة طرابلس ، والتي ما تزال تظهر على أحجارها أحرف عفورة بخط عربي جميل ... أحرف اسمي : عمر وجميلة .

علمي مراد
المعلمي